المبحث السابع

نواقض التوحيد والإيمان:

أولاً: الشرك:

إن الحديث عن التوحيد يستلزم الحديث عما يناقضه من الشرك، لأنه كما قيل: بضدها تتميز الأشياء.

والشرك: هو أن تجعل لله نداً أو شريكاً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، وهو المبطل للأعمال والمانع لقبولها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88].

وحدُّه: أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله، فكل اعتقاد أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص وصرفه لغيره شرك وكفر[1].

فحقيقة الشرك بالله، أن يعبد المخلوق كما يعبد الله أو يعظم كما يعظم الله أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والألوهية.

ولقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة في التحذير من الشرك وبيان خطره، وأنه أعظم ذنب عصي الله به، وأنه لا أضل من فاعله وأنه مخلد في النار أبداً لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع،

---

(1) القول السديد في مقاصد التوحيد، ص: 31.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: 48]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: 116].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمر: 65].

إن الشرك هو الذنب الوحيد المتميز عن بقية الذنوب بعدم المغفرة لصاحبه إذا مات ولم يتب منه، وأما بقيه الذنوب فإن صاحبها إن مات ولم يتب منها فإنه تحت مشيئة الله إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

إن الذنوب التي دون الشرك جعل الله لمغفرتها أسباباً كثيرة، كالحسنات الماحية، والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة الشافعين، ومن دون ذلك كله رحمته التي خص بها أهل الإيمان والتوحيد، وهذا بخلاف الشرك فإن الشرك سدّ على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة فلا تنفعه الطاعات دون التوحيد، ولا تفيده الشدائد، والمحن شيئاً.

إن الشرك بالله تمجه الفطر السليمة، ولقد بقي البشر بعد آدم قروناً طويلة وهم أمة واحدة على التوحيد والهدي، ثم أدخلت عليهم الشياطين الشرور المتنوعة بطرق كثيرة، فكان قوم نوح قد مات منهم أناس صالحون فحزنوا عليهم فجاءهم إبليس وأمرهم أن يصوروا تماثيلهم ليتذكروا أحوالهم، فكان هذا باب الشر العظيم، فلما مات

الذين صوروهم لهذا المعنى خلف من بعدهم خلف قلّ فيهم العلم واستفزهم الشيطان وأغواهم حتى أوقعهم في الشرك، ثم بعث الله فيهم نوحاً عليه السلام يعرفونه ويعرفون صدقه وأمانته وكمال أخلاقه فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: 59] إلا أنهم عصوه وما آمن معه إلا قليل، إن الله تعالى خلق الناس على فطرة التوحيد ثم استطاعت الشياطين أن تميل بالناس وتنحرف بهم نحو الوثنية المظلمة والشرك العظيم، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 213]. أي: إن الناس كانوا على ملة آدم عليه السلام حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض[1].

إن هذه الأمة الإسلامية التي رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، عليها أن تحرص على تحقيق التوحيد ومحاربة الشرك، لأنها تعلم علم اليقين أن من شروط التمكين لها، تحقيق التوحيد وتهذيبه، وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية والاعتقادية، والبدع الفعلية والعملية، ومن المعاصي وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله وبالسلامة من البدع[2]، وعليها أن تحارب شرك القبور، وكذلك شرك القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية، وعليها تدعو إلى إفراد العبودية لله وحده في جميع شؤون الحياة الإنسانية، ولأن حالها

(1) تفسير ابن كثير (1/ 250).

(2) الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده.

ومقالها قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: 162، 163].

أنواع الشرك:

ينقسم الشرك إلى نوعين: أكبر وأصغر.

1 ـ الشرك الأكبر: يخرج صاحبه من ملة الإسلام، ويوجب له الخلود في جهنم ويحرم عليه الجنة هذا إذا مات على الشرك، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: 72]، والشرك الأكبر أنواع منها:

أ ـ شرك الدعاء: وهو اللجوء إلى غير الله ودعائه وقصده، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: 65]. فهم يوحدون الله في حال الضيق والشدة وإذا نجاهم أشركوا ودعوا غيره.

ب ـ شرك النية والإرادة والقصد: وهو أن يعمل العمل مما يراد به وجه الله ﷻ يعمله لغير الله ويقصد به مراداً آخر، فهذا شرك أكبر، قال ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: 15، 16]. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ

وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: 18 - 20].

ج ـ **شرك الطاعة**: وهو طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم من البشر والعلماء والسلاطين والأمراء في تحريم ما أحل الله أو إباحة ما حرم الله، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، وعن عدي بن حاتم ﷺ أنه لما بلغته دعوة رسول الله فرّ إلى الشام وكان تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم منَّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ فتقدم عدي إلى المدينة وكان رئيساً في قومه طيّئ وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 31] قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال: «**بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**»، وقال بها رسول الله ﷺ: «**يا عدي ما تقول؟ أيضرك أن يقال: الله أكبر، فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ ما يضرك؟ أيضرك أن يقال: لا إله إلا الله؟ فهل تعلم إلهاً غير الله؟**» ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق[1].

هـ ـ **شرك المحبة**: بأن يصرف المحبة لغير الله تعالى مما يجب أن يكون لله، ومن أدلته قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ

(1) تفسير ابن كثير (2/ 348).

﴿اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: 165].

وقوله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد فيهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**»[1]، وقد اهتم القرآن الكريم بضرب الأمثال للتنفير من حالة المشرك وهذه بعض الأمثال:

* مثل المشرك بالساقط من السماء:

قال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: 31].

يحث الله سبحانه عباده على إخلاص التوحيد وإفراده بالطاعة والعبادة دون الأوثان، ويذكر قبح الشرك وبطلانه بأوضح الأمثلة، لأن من يشرك بالله شيئاً من دونه فمثله من بَعَّده عن الهدى وإصابة الحق، وهلاكه وذهابه عن ربه، مثل من خرَّ من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به العواصف في مكان بعيد، فهذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه[2].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (الحديث: 164).

(2) تفسير الطبري (17/ 155)، الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا (2/ 1370).

* مثل المشرك بالحيران في الأرض:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: 71].

هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها وللدعاة الذين يدعون إلى الله كمثل رجل ضل الطريق إذ ناداه منادٍ: يا فلان ابن فلان، هلم إلى الطريق، وله أصحاب يدعونه: يا فلان، هلم إلى الطريق، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه في الهلكة، وإن أجابه من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق[1].

* مثل المشرك بالعبد المملوك لجماعة كثيرين:

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزُّمَر: 29].

هذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للمشرك والموحد، فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون، والرجل المشاكس: الضيق الخلق، فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، والموحد لمَّا كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه مع رأفة مالكه به

(1) تفسير الطبري (7/ 236).

ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان؟ وهذا من أبلغ الأمثال فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسين، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون[1].

2 ـ **الشرك الأصغر**: وهذا النوع لا يخرج صاحبه من الملة ولكنه ينقص من توحيده، وهو وسيلة للشرك الأكبر وهو ينقسم إلى نوعين: ظاهر وخفي.

أ ـ فالظاهر: مكون من ألفاظ قولية وأفعال عملية، فمن الألفاظ الحلف بغير الله، وقول الإنسان: لولا الله وأنت، أو هذا من الله ومنك، ما شاء الله وشئت، فإن هذا يقتضي المساواة بين الله وبين العبد، وهذا محال، ولكن الصحيح ألا يحلف إلا بالله ﷻ، وأن يقول: لولا الله ثم أنت أو هذا من الله، ثم منك، وما شاء الله ثم شئت.

ومن الأفعال: لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم خشية العين، أو الجن، فمن فعل ذلك معتقداً أنها سبب يستدفع بها البلاء وأن الدافع للبلاء هو الله وحده فقد أشرك شركاً أصغر، وإذا فعل ذلك معتقداً أن هذه الأشياء تدفع البلاء بعد نزوله أو تمنعه قبل حلوله، فقد أشرك شركاً أكبر حيث اعتقد شريكاً مع الله في الخلق والتدبير[2].

ب ـ وأما الخفي من الشرك الأصغر: فهو شرك الإرادات، والمقاصد والنيات، وذلك مثل الرياء، والسمعة، ومثال ذلك أن يعمل المسلم عملاً الأصل فيه أنه لله تعالى، ثم بعد ذلك يدخل فيه شيء من

---

(1) إعلام الموقعين (1/ 187).

(2) عقيدة أهل السنة والجماعة، **للقحطاني**، ص: 142.

الرياء أو السمعة، فيريد من الناس الثناء عليه، كأن يقرأ مسلم القرآن لله تعالى وتقرباً له، وعندما يرى الناس تنصت له يُلحن في صوته ابتغاء الثناء عليه، أو يتصدق إنسان بمال لكي يُمدَحَ ويثنى عليه، أو يحسن الرجل صلاته التي يتقرب بها إلى الله لما يرى من نظر الناس إليه، وغير ذلك من الأعمال والعبادات التي تصرف لله تعالى، وإلا لو صرف ـ ابتداءً لغير الله لأصبح ذلك شركاً أكبر يخرج من الملة، ولكن بعد البدء فيها يدخل عليه حب المدح والثناء على فعله وعبادته وعاقبة الرياء الذي يخالط العمل هو إبطال أجر وثواب هذا العمل، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110]، وقال رسول الله ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، فسئل عنه فقال: «**الرياء**»[1].

إن الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى به شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية، ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام وهي ملة إبراهيم عليه السلام[2].

والعبد المؤمن يخشى على نفسه من الرياء وأن تصير أعماله هباءً منثوراً، فقد قال الله تعالى عن أقوام: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: 23].

وقال الفضيل في هذه الآية: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (5/ 428).

(2) العقيدة الصافية، ص: 406.

﴿يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47] قال: عملوا أعمالاً وحسبوا أنها حسنات فإذا هي سيئات[1].

وقريب من هذا أن يعمل الإنسان ذنباً يحتقره، ويستهون به فيكون هو سبب هلاكه، كما قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: 15].

وقال بعض الصحابة: إنكم تعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات[2].

وأصعب من هذا من زين له سوء عمله فرآه حسناً، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: 103، 104].

قال سفيان بن عيينة: لما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة جزع، فَدَعوا له أبا حازم فجاء فقال له ابن المنكدر: إن الله يقول: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47]، وأخاف أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب، فجعلا يبكيان جميعاً، فقال له أهله: دعوناك لتخفِّف عليه فزدته فأخبرهم بما قال[3]، وقال الفضيل بن عياض: أُخبرت عن سليمان التيمي أنه قيل له: أنت أنت ومن مثلك؟ فقال: مه، لا تقولوا هذا، لا أدري ما يبدو لي من الله، سمعت الله يقول: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[4]. وكان

---

(1) المحجة في سير الدُّلجة، لابن رجب الحنبلي، ص: 90.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من محقرات الذنوب (الحديث: 6492).

(3) ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (2/ 167).

(4) المحجة في سيرة الدلجة، لابن رجب، ص: 92.

سفيان الثوري يقول عند هذه الآية: ويلٌ لأهل الرياء من هذه الآية، وهذا كما في حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار: العالم، والمتصدّق، والمجاهد[1].

وكذلك من عمل أعمالاً صالحة وكانت عليه مظالم، فهو يظن أن أعماله تنجيه فيبدو له ما لم يكن يحتسب، فيقتسم الغرماء أعماله كلها، ثم يفضل لهم فضل فيطرح من سيئاتهم عليه ثم يطرح في النار[2].

وقد يناقش الحساب فيُطلب منه شكر النعم فتقوم أصغر النعم فتستوعب أعماله كلها وتبقى بقية النعم فيُطالب بشكرها فيعذَّب، ولهذا قال ﷺ: «**من نوقش الحساب عُذِّب أو هلك**»[3].

وقد يكون له سيئات تحبط بعض أعماله أو أعمال جوارحه سوى التوحيد، فيدخل النار وقد يحبط العمل بآفة من رياء خفي أو عُجُب به ونحو ذلك ولا يشعر به صاحبه[4]. قال ضيغم العابد: إن لم تأت الآخرة المؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه الأمران، هم الدنيا وشقاء الآخرة، فقيل له: كيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو يتعب في دار الدنيا ويدأب؟ فقال: كيف بالقبول، كيف بالسلامة؟ ثم قال: كم من رجل يرى أنه قد أصلح عمله يُجمع ذلك كله يوم القيامة ثم يضرب به وجهه، ومن هنا كان بعض الصالحين يقلقون من هذه الآية ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ

---

(1) المحجة في سيرة الدلجة، **لابن رجب**، ص: 93.

(2) المصدر نفسه، ص: 94.

(3) أخرجه **البخاري** في كتاب: الرقائق، باب: من نوقش الحساب عذب (الحديث: 6536).

(4) المحجة في سير الدلجة، ص: 96.

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

ولذلك فالمسلم لا يثق بكثرة العمل، لأنه لا يدري يقبل منه أم لا، ولا يأمن ذنوبه فإنه لا يدري هل كفِّرت عنه أم لا؟ لأن الأعمال مُغَيَّبة عن العبيد لا يدرون ما الله صانع بهم[1].

ومن تأمل هذا حق التأمل أوجب له الخوف والخشية والقلق، فإن ابن آدم متعرض لأهوال عظيمة من الموت والقبر وأهوال البرزخ وأهوال الموقف، كالصراط والميزان وأعظم من ذلك الوقوف بين يدي الله ﷻ ودخول النار، ويخشى على نفسه الخلود فيها بأن يُسلب إيمانه عند الموت، ولم يأمن المؤمن شيئاً من هذه الأمور، قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99].

قال الشاعر:

أما والله لو علم الأنام ... لِمَا خُلقوا لما غفلوا وناموا

لقد خلقوا لما لو أبصرته ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

ممات ثم قبر ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام

ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلوا من مخافته وصاموا

ونحن إذا نهينا أو أمرنا ... كأهل الكهف أيقاظ نيام[2]

3 ـ الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

ـ الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام بخلاف الشرك الأصغر.

---

(1) المحجة في سير الدلجة، ص: 98.

(2) المصدر نفسه، ص: 101.

ـ الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، أما الشرك الأصغر فإنه يحبط العمل الذي خالطه فقط.

ـ الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر ليس كذلك.

ـ الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، أما الشرك الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار وإن دخلها.

ـ الشرك الأكبر يوجب المعاداة وقطع الموالاة فلا يجوز موالاته مهما كانت قرابته، أما الشرك الأصغر فلا يقطع الموالاة على الإطلاق، وإنما يوالى بقدر ما لديه من التوحيد ويعادى بحسب ما فيه من الشرك[1].

4 ـ آثار الشرك:

إن الشرك الذي يقع فيه الإنسان له آثاره الوبيلة في دنياه وآخرته، سواء أكان الواقع فيه فرداً أم جماعة، فمن تلك الآثار:

ـ إطفاء نور الفطرة.

ـ القضاء على منازع النفس الرفيعة.

ـ القضاء على عزة النفس ووقوع صاحبه في العبودية الذليلة.

ـ تمزيق وحدة النفس البشرية.

ـ إحباط العمل[2].

ثانياً: الكفر:

أصل الكفر: تغطية الشيء، وسمي الليل: كافراً؛ لتغطيته كل

---

(1) عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 143.

(2) فقه النصر والتمكين، ص: 203.

شيء[1]، وذكر أهل التفسير أن الكفر في القرآن على خمسة أوجه:

أحدهما: الكفر بالتوحيد ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البَقَرَة: 6].

والثاني: كفر نعمه ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البَقَرَة: 152].

والثالث: التبرؤ ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [العَنكبوت: 25]، أي يتبرأ بعضكم من بعض.

والرابع: الجحود ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 89].

والخامس: التغطية ومنه قوله تعالى: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحَديد: 20]. يريد الزراع الذين يغطون الحب[2].

وأما الكفر اصطلاحاً: فهو الإنكار المتعمد لما جاء به محمد ﷺ أو بعض ما جاء به محمد مما علم من دينه بالضرورة[3].

والكفر والإيمان ضدان متى ثبت أحدهما ثبوتاً كاملاً انتفى الآخر[4].

والكفر ليس حقيقة واحدة ولا هو شعبة واحدة، فليس ينحصر في التكذيب أو الاعتقاد القلبي، بل هو شعب متعددة ومراتب متفاوتة، كما أن ما يقابله وهو الإيمان شعب متعددة كما سبق ذكره، ويقع الكفر

---

(1) التبيان لعلاقة العمل بمسمى الإيمان، علي سوف، ص: 249.

(2) نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي (2/ 119، 120).

(3) عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 49.

(4) الإرشاد إلى معرفة الأحكام، للسعدي، ص: 203، 204.

بالتكذيب وبالجحود وبالإعراض وبالتكبر عن أوامر الله[1].

وكما أن الإيمان ذو شعب دل عليها حديث النبي ﷺ المتفق عليه في قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[2].

فكذلك الكفر له شعب أيضاً.

أنواع الكفر:

ينقسم الكفر إلى نوعين:

1 ـ كفر أكبر يناقض الإيمان ويوجب الخروج من الملة والخلود في النار وهو على خمسة أنواع:

أ ـ كفر التكذيب: وهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا قليل جداً، لأن الله أيد رسله بالآيات وأعطاهم من المعجزات ما يقوم به دليلاً على صدقهم وقيام الحجة على أممهم، قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33]، وإنما يلجأ بعض الكفار إلى التكذيب بالرسل من ألسنتهم فقط وليس من قلوبهم.

ب ـ الإباء والاستكبار: والمسمى: بالكفر الإبليسي، فإنه إنما

---

(1) التبيان لعلاقة العمل بمسمى الإيمان، ص: 256.

(2) أخرجه **البخاري** في كتاب: بدء الإيمان، باب: أمور الإيمان (الحديث: 9)، وأخرجه **مسلم** في كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها (الحديث: 152).

جحد أمر الله وأنكر عناداً واستكباراً وهذا النوع يقع من معظم الكفار حيث يقولون: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يس: 15]، وكما يقول قوم فرعون: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون: 47][1].

ج ـ **كفر الإعراض**: وذلك بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي له، ولا إلى ما جاء به البتة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: 3].

د ـ **كفر الشك**: بأن لا يجزم بصدق النبي ﷺ ولا يكذبه وإنما يشك في ذلك أو يشك في القيامة، ومن هذا الكفر كفر صاحب الجنة والبستان الذي غره ما عنده من الرزق، وفقد الإيمان بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: 35-38] فلقد عبّر عن عقيدته في اليوم الآخر بقوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ هكذا على سبيل الشك وعدم اليقين فوقع في الكفر كما قال له صاحبه: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾ [الكهف: 37] وهذا هو مصير أصحاب القلوب المريضة والعياذ بالله.

هـ ـ **كفر النفاق**: وهو إظهار الإيمان باللسان، وإخفاء الكفر، والتكذيب في القلب وهو النفاق الأكبر، وهذا النوع من أشد أنواع

---

(1) مدارج السالكين (1/ 346).

الكفر خطراً على الإسلام والمسلمين، وأصحاب هذا النفاق يتغلغلون في صفوف المسلمين، ويحاولون تفريق الكلمة وتمزيق الأمة ودليله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة: 8-9][1].

2 ـ **كفر أصغر**: وهذا لاينافي أصل الإيمان، ولا يذهب به بالكلية، وإنما ينقص كماله ويصبح الموصوف به مذموماً شرعاً وإن بقيت أحكام الإسلام تجري عليه لبقاء أصل الإيمان به[2]، وهو كل ذنب ورد تسميته في الكتاب والسنة كفراً، وهو لا يصل إلى حد الكفر الأكبر، وهذا النوع يوجب استحقاق الوعيد دون الخلود في النار، ومثال ذلك قوله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[3]. فإنَّ الكفر هنا معناه الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: 9] فقد سماهم الله مؤمنين مع اقتتالهم[4].

3 ـ **إطلاق حكم الكفر**: ليس كل من عمل عملاً أو قال قولاً كفرياً يكون كافراً إلا إذا وجدت الشروط في حق ذلك المعين، وانتفت

---

(1) العقيدة الصافية، ص: 397.

(2) عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 51.

(3) أخرجه **البخاري** في كتاب: الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن (الحديث: 6044).

(4) عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 51.

الموانع التي تمنع استحقاقه لذلك الحكم، فقد يقول الإنسان الكفر أو يعمله باجتهاد أو خطأ ولا يكفر به، وذلك لما يترتب على ذلك من الأحكام الشرعية كإهدار دمه، وزوال عصمة ماله وأولاده، وتحريم زوجته عليه، وعدم حل ذبيحته، وعدم جواز تغسيله، والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، وعدم جواز الاستغفار له بعد موته، ولورود الوعيد الشديد على من أطلق كلمة الكفر على مسلم ولم يكن كذلك ففي الحديث: «**من قال لأخيه: يا كافر فقد باء به أحدهما**»[1].

4 ـ شروط التكفير:

بيّن علماء المسلمين بأن الشخص المعين لا يكون كافراً حلال الدم والمال إلا إذا:

* ـ توفرت فيه شروط عدة.

* ـ وانتفت عنه موانع.

حينئذ يجوز الحكم عليه بالكفر، أما إذا انتفى أي شرط أو وجد أي مانع فلا يجوز أن يحكم عليه بالكفر، وليس معنى هذا إعفاءه من العقوبة تماماً، بل يعاقب على حسب حاله إنما الممنوع الحكم عليه بالكفر لا مطلق العقوبة.

ـ شروط التكفير: هناك شروط ثلاثة لا بد من اجتماعها بمن عمل عملاً يستحق عليه الوعيد كاللعن والكفر، وإذا سقط شرط منها فيمتنع لعن الشخص وتكفيره.

أ ـ العلم: فالله سبحانه وتعالى لم يشرع العقوبة قبل إقامة الحجة.

---

(1) أخرجه **البخاري** في كتاب: الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (الحديث: 6103).

- قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15].

- قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: 165].

- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: 59].

- قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: 8-9].

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: 134].

وهذه النصوص الربانية تفيد أن الله تعالى لا يؤاخذ عباده إلا بعد قيام الحجة عليهم، وعلمهم بالحق والصواب[1]، وقد ثبت في نصوص أخرى أن الله لا يؤاخذ جاهل، ولو كان جهله بمسائل في العقيدة، فقد قال ﷺ: «**كان رجل يسرف على نفسه، ولما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر عليَّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له**»، وفي رواية:

(1) ظاهرة الغلو في الدين، محمد عبد الحكيم حامد، ص: 267.

«**مخافتك يا رب**»[1]، فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة ابن آدم، بعدما أحرق وذري وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل ذلك، وهذان أصلان عظيمان:

- **أحدهما**: متعلق بالله تعالى، وهو الإيمان بأن الله على كل شيء قدير.

- **والثاني**: متعلق باليوم الآخر، وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه على أعماله.

ومع هذا فلما كان مؤمناً بالله في الجملة، ومؤمناً باليوم الآخر في الجملة وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت، قد عمل صالحاً، وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه، غفر الله له بما كان منه من الإيمان بالله. واليوم الآخر، والعمل الصالح[2].

وكذلك بلال بن رباح ﷺ، لما باع الصاع بالصاعين أمره النبي ﷺ برده، ولم يرتب على ذلك حكم آكل الربا من التفسيق واللعن والتغليظ لعدم علمه بالتحريم[3].

ب - العمد: لا بد من توفر شروط العمد، لأن الله تعالى قد رفع الإثم والمؤاخذة عن المخطئ والمتأول، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: 5]، فقال سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البَقَرَة: 286]، وقد ثبت عن النبي ﷺ: «**إن الله تعالى قال: قد**

---

(1) أخرجه **البخاري** في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: 54 (الحديث: 3481).

(2) الفتاوى (12 / 491).

(3) المصدر نفسه (20 / 253).

فعلت»، مما دعا النبي ﷺ والمؤمنون بهذا الدعاء[1].

وقال ﷺ: **«إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان»**. وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد، لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية[2]. تلك أدلة رفع الإثم والمؤاخذة عن المخطئ والمتأول[3].

وإذا كان المسلم متأولاً في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك، كما قال عمر ابن الخطاب ﷺ لحاطب بن أبي بلتعة: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: **«إنه قد شهد بدراً، ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[4]، وكذلك ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد: أنه قتل رجلاً بعد ما قال: لا إله إلا الله، وعظم النبي ﷺ ذلك لما أخبروه وقال: **«يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟»** كرر ذلك عليه حتى قال أسامة: تمنيت أني لم أكن أسلمت يومئذ، ولم يوجب عليه قوداً ولا دية ولا كفارة، لأنه كان متأولاً، ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه أنها قالها تعوذاً[5].

ج ـ الاختيار والقدرة: قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ

---

(1) تفسير صحيح **ابن كثير** (1 / 323).

(2) الفتاوى (3 / 229).

(3) ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، ص: 271.

(4) أخرجه **البخاري** في كتاب: المغازي، باب: غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة. . . . (الحديث: 3983)، وأخرجه **مسلم** في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أهل بدر. . . (الحديث: 6351).

(5) ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، ص: 272، الحديث صحيح رواه الشيخان.

إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ [النحل: 106]. ففي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: 106] فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظهم مكرهاً لما ناله من ضرب وأذى، وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله، وقد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر، فقد أخذه المشركون فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**كيف تجد قلبك؟**» قال: مطمئناً بالإيمان، قال النبي ﷺ: «**إن عادوا فعد**»[1].

ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته ويجوز له أن يأبى كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه، ولو أفضى إلى قتله[2]. والله سبحانه وتعالى أخبر في غير موضع أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ [الأعراف: 42]، وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة فقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16].

5 ـ موانع التكفير:

إن الحكم على الشخص المعين يتوقف على وجود شروط

---

(1) أخرجه **الحاكم** في مستدركه (2/ 257)، **والزيلعي** في نصب الراية (4 / 158).

(2) تفسير **ابن كثير** (2 / 587 ، 588).

وانتفاء موانع، ومن موانع التكفير: الخطأ، الجهل، العجز، والإكراه.

أ ـ فالخطأ: لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البَقَرَة: 286].

وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الأحزَاب: 5]. ووجود الخطأ من المسلم أحد موانع تكفير المعين، كما أن الله أمر الناس أن يطلبوا الحق على قدر وسعه وإمكانهم، فإن لم يصيبوا الحق في اجتهادهم، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والواجب في حقه أن يعبد الله بحسب ما توصل إليه اجتهاده، إن كان مؤهلاً للاجتهاد وبذل وسعه في طلب الحق.

إن الأدلة من الكتاب والسنة متضافرة على أن المجتهد المخطئ معذور، كما دل الإجماع والقياس على ذلك[1].

ب ـ الجهل: قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النِّسَاء: 165]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسرَاء: 15].

فالجهل أحد موانع تكفير المعين لأن الإيمان متعلق بالعلم، ووجود العلم بالمؤمن به شرط من شروط الإيمان به[2].

ج ـ العجز: قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا

(1) منهج ابن تيمية في مسألة التكفير (1 / 249 ، 257).
(2) الفتاوى (1 / 261).

﴿٧٥﴾ [النساء: 75]. فأولئك كانوا عاجزين عن إقامة دينهم فقد سقط ما عجزوا عنه[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: 97-99]. فهذه الآيات في جماعة من المؤمنين كانوا يستخفون بإيمانهم، وهم عاجزون عن الهجرة، فعذرهم الله تعالى[2].

ومثال آخر على موانع التكفير، العجز، أن النجاشي كان ملك النصارى في الحبشة، فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام، ولم يدخل معه سوى نفر يسير منهم، فلما مات، صلى عليه النبي ﷺ بالمدينة، خرج بالمسلمين إلى المصلى، فصفهم صفوفاً، وصلى عليه وأخبرهم بموته يوم مات فقال: «**قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلموا فصلوا عليه**»[3]. وكثير من شرائع الإسلام لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك، فلم يهاجر، ولم يجاهد، بل قد روي: أنه لم يصل الصلوات الخمس، ولا يصوم رمضان، ولا يؤدي الزكاة الشرعية، لأن ذلك يظهر عند قومه فينكرون عليه وهو لا يمكنه مخالفتهم ويعلم قطعاً أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم القرآن، لأن قومه لا يقرونه

---

(1) الفتاوى (19/ 220، 221).

(2) المصدر نفسه (19/ 220).

(3) أخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: في التكبير على الجنازة (الحديث: 2205).

على ذلك، ولهذا جعل الله هؤلاء من أهل الكتاب الذين آمنوا بالنبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران: 199].

وقال بعض العلماء هذه الآية: إنها نزلت في النجاشي، ومنهم من قال: فيه وفي أصحابه[1]، وكذلك ما أخبر به عن حال مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون، وعن حال امرأة فرعون، وكما كان يوسف الصديق عليه السلام مع أهل مصر، فإنهم كانوا كفاراً ولم يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الإسلام، لأنه دعاهم إلى التوحيد والإيمان فلم يجيبوه[2].

إن من عجز عن أداء ما شرع الله عليه، واتقى الله ما استطاع، فإنه معذور، غير مؤاخذ على ما تركه.

د ـ **الإكراه**: قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: 106]. كل ما أدى بشخص لو لم يفعل المأمور به إلى ضرب أو حبس، أو أخذ مال، أو قطع رزق يستحقه أو نحو ذلك[3] وشروطه أربعة:

ـ أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به، والمأمور عاجزاً عن الدفع، ولو بالفرار.

---

(1) الفتاوى (19/ 217، 219).

(2) تفسير الطبري (4/ 218، 219).

(3) مناهج ابن تيمية في مسألة التكفير (1/ 266).

ـ أن يغلب على ظن المكره أنه إذا امتنع أوقع به ما هدده به.

ـ أن يكون ما هدده به فورياً، أو بعد زمن قريب جداً، أو جرت العادة أنه لا يخلف ما هدده به.

ـ أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره[1].

6 ـ ما يمحو الكفر بعد ثبوته على المعين:

التوبة: هي رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين[2].

والله سبحانه وتعالى يقبل توبة العبد من جميع الذنوب، الشرك فما دونه، كما قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: 53]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾. وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38].

والتوبة تمحو جميع السيئات وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة ومعلوم أن من سَبَّ الرسول من الكفار المحاربين، وقال: هو ساحر، أو شاعر أو مجنون، أو معلم، أو مفتر، وتاب، تاب الله عليه، وقد كان طائفة يسبون النبي ﷺ من أهل الحرب، ثم أسلموا وحسن إسلامهم وقبل النبي ﷺ منهم، منهم: أبو سفيان بن الحارث

---

(1) فتح الباري (12/ 311).

(2) مدارج السالكين (2/ 199).

ابن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ وعبد الله ابن أبي السرح، وكان قد ارتد، وكان يكذب على النبي ﷺ ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن، ثم تاب، وأسلم وبايعه النبي ﷺ على ذلك[1]، فالتوبة هي الأمر الوحيد الذي يمحو الله به الكفر بعد ثبوته، وقد انعقد الإجماع على ذلك[2].

ثالثاً: الأمثال القرآنية للكافرين:

1 ـ السراب وأعمال الكفار: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور: 39].

يبين الله سبحانه وتعالى أن مثل أعمال الذين كفروا بالله مثل سراب بأرض منبسطة يرى وسط النهار وحين اشتداد الحر، فيظنه العطشان ماء، فإذا أتاه ملتمساً الشراب لإزالة عطشه لم يجد السراب شيئاً، فكذلك الكافرون في غرور من أعمالهم التي عملوها وهم يحسبون أنها تنجيهم عند الله من الهلاك كما حسب العطشان السراب ماء، فإذا صار الكافر إلى الله واحتاج لعمله لم ينفعه وجازاه الله الجزاء الذي يستحقه[3].

وتلاحظ خلال المثل صورة السّراب، ثم صورة الظامي، الذي ظنه ماء، ثم خيبته عند وصوله إليه، وحذف ما عدا ذلك لأن الخيال يتمُّ رسمها وفي الممثل له لم يُذكر إلا عمل الذين كفروا وطُوي ما عدا ذلك لأن الفكر قادر على أن يستدعيه وهذا من بلاغة القرآن[4].

---

(1) مجموع الفتاوى (3/ 291).

(2) منهج ابن تيمية في مسألة التكفير (1/ 273).

(3) الشرك في القديم والحديث (2/ 1382).

(4) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص: 133.

2 ـ **ظلمات الكفر**: قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور: 40]. هذه مثل آخر لأعمال الكفار، إلا أن المثل الأول في انخداع الكافر بعمله في الدنيا وغروره به، وهذا المثل لأعمال الكفار في أنها عملت على خطأ وفساد وضلال وحيرة وعلى غير هدى، فهي في ذلك كمثل ظلمات في بحر عميق جداً كثير الماء، وفوق هذا الموج موج آخر، وفوقها سحاب متراكم، فاجتمعت عدة ظلمات، وهكذا عمل الكافر ظلمات في ظلمات[1].

فهذا المثل يصور الحالة النفسية والفكرية والقلبية للذين كفروا بعد أن تركوا نور الهداية الربانية، إنهم يطلبون سعادتهم في الظلمات، فقلوبهم مظلمة بالكفر، ونفوسهم تائهة في بحر من ظلمات الأهواء والشهوات، وأفكارهم تسبح في ظلمات أسباب لذات الدنيا، وإرادتهم تحت كلّ هذه الظلمات، فمثلهم كمن في ظلمات قاع بحر عميق، فوقه أمواج في العمق الظلمة، فوقها أمواج في السطح تُضاعف الظلمة، فوقها سحاب يزيد الظلام ظلاماً، ظلماتُ بعضها فوق بعض[2].

إن مثل الظلمات في سورة (النور) دل على حقائق علمية تتصل بالعلوم الدنيوية المادية التطبيقية أو النظرية، وإن هذه الحقائق تنقسم ثلاثة أقسام:

ـ **القسم الأول**: دلالة المثل على معجزة علمية للنبي ﷺ تتمثل في الإخبار بوجود أمواج في باطن البحار العميقة اللجية (المحيطات)

(1) الشرك في القديم والحديث (2/ 1383).

(2) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص: 133.

والتي لم تكن معلومة في ذلك الوقت، بل لم تكن بمقدور البشر اكتشافها لكونها على عمق لا يصله إلا الغواصات أو الغواصون المزودون بالأكسجين.

ـ **القسم الثاني**: الإخبار عن حقائق علمية في العلوم المادية الدنيوية بما يطابق ما ثبت عند المتخصصين فيها، وقد اشتمل المثل على فائدتين من هذا القسم، هما:

أولاً: إفادة المثل أن أعماق البحار العميقة مظلمة ظلمة شديدة مع بيان سبب ذلك، وهو وجود حُجُب حجبت الضوء هي عبارة عن أوساط شفافة متعددة أسهمت مجتمعة في منع الضوء عن تلك الأماكن وتسببت في ظلمتها واتفاق ذلك مع ما تقرر في علم البحار، وعلم الضوء.

ثانياً: دلالة المثل على التفسير العلمي للرؤية وأنه يشترط له وصول الضوء من مصدر مضيء إلى الجسم المرئي، وإذا انعدم الضوء ولم يصل منه شيء إلى الجسم فإنه يظلم ولا يُرى واتفاقه مع التفسير الصحيح المتقرر عند المتخصصين في ذلك الشأن، كما تضمن المثل ـ أيضاً ـ إبطال التفسير القديم القائم على أن سبب الرؤية خروج أشعة من العين تسقط على الأجسام فتحدث رؤيتها.

القسم الثالث: إفادة المثل حقائق علمية ثابتة في نفسها وإن لم تكن مسلمة عند كل المشتغلين بتلك العلوم، وذلك في الأمور العقلية التي تبحث عادة فيما يسمى بعلم النفس والسلوك والاجتماع.

وقد دل المثل على حقيقتين من هذا القسم، هما:

أولاً: حقيقة أن الكفار يتقلبون في ظلمات حالكة وضلالات لا ينفكون عنها.

ثانياً: حقيقة أن الكفار في خوف وقلق وحيرة دائمة[1].

3 ـ الرماد وأعمال الكفار: قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: 18]، شبه الله تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف، فشبه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلاً كالهباء المنثور لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان وكونها لغير الله ﷻ وعلى غير أمره، برماد طيرته الريح العاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه، فلذلك قال تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ [البقرة: 264] لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء فلا يرون له أثراً من ثواب ولا فائدة نافعة.

فإن الله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه موافقاً لشرعه... وفي تشبيهه بالرماد سر بديع، وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله وعلى غير مراده طعمة للنار وبها تسعر النار على أصحابها، وينشىء الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة ناراً وعذاباً كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره ونهيه التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيماً وروحاً، فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رماداً، فهم وأعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار[2].

---

(1) الأمثال القرآنية (2/ 755) د. عبد الله جربوع.

(2) إعلام الموقعين (1/ 170).

4 ـ نفقة الكفار والريح الشديدة: قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عِمرَان: 117]. شبه الله سبحانه ما ينفق الكافر ويتصدق به على وجه القربة إلى الله هو مشرك بالله وجاحد به ومكذب لرسله، وأن ذلك غير نافعه، وأنه مضمحل عند حاجته إليه ذاهب بعد ما كان يرجو نفعه، كشبه ريح فيها برد شديد وتحمل النار فأصابت زرع قوم أملوا إدراكه ورجوا ريعه لكنهم كفرة، فأهلكت الريح التي فيها الصر الزرع ولم ينتفع بشيء منه، وكذلك يفعل الله بنفقة الكافر وصدقته ويبطل ثوابها، والمراد بالمثل صنيع الله بالنفقة[1].

وهذا مثل ـ أيضاً ـ ضربه الله تعالى لمن أنفق في غير طاعته ومرضاته، فشبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر ولا يبتغون به وجه الله، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جداً يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته[2].

5 ـ قلب الموحد وقلب الكافر: قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعرَاف: 58]. بيَّن سبحانه وتعالى في هذا المثل أن البلد الطيب تربته العذبة مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث طيباً ثمره في حينه ووقته، والبلد الذي خبث فتربته رديئة،

(1) الشرك في القديم والحديث (2/ 1386).
(2) إعلام الموقعين (1/ 186).

ومشاربه مالحة، ويخرج نباته بعسر وشدة، فهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، لأن قلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به وثبت الإيمان فيه وفاض بالخير، وقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشيء ينفعه، ولم يثبت فيه الإيمان ففاض بالنكد والشر والفساد[1].

وقد سمى الله في كتابه المؤمن بالطيب والكافر بالخبيث فقال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: 37]. فالخبيث في هذه هم الكفار والطيب هم المؤمنون[2].

هذه بعض الأمثلة القرآنية التي ضربت للكفار، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

رابعاً: النفاق:

لفظ إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام بهذا المعنى المخصوص، وحاصل عبارات العلماء في تعريفه يمكن إرجاعها إلى أن النفاق هو: إظهار الإيمان، وإبطان الكفر[3].

1 ـ **أنواع النفاق**: ينقسم النفاق إلى نوعين، نفاق الاعتقاد ونفاق العمل:

أ ـ **نفاق الاعتقاد**: وهذا النوع من النفاق الأكبر الذي يخرج

---

(1) تفسير **الطبري** (8/ 211)، تفسير **ابن كثير** (2/ 222).

(2) تفسير **القرطبي** (7/ 401)، **الشرك في القديم والحديث** (2/ 1375).

(3) النفاق أثره في حياة الأمة، د. **عادل الشدي**، ص: 20.

صاحبه من ملة الإسلام، ويوجب له الخلود في النار، ويُحرّم عليه دخول الجنة، وذلك لأنه أظهر الإسلام والخير وأبطن الكفر والشر، وهؤلاء هم أشد خطراً وبلاءً على الإسلام، والمسلمين، لأنه يؤمن جانبهم لما ظهر من أمور تدل على إيمانهم ويأتي الخطر كل الخطر من جانبهم، فهم الذين يشيعون الفاحشة في الذين آمنوا وهم الذين يذبذبون الصف المسلم، وغير ذلك ولكن الله كاشف أمرهم، وهو على إذلالهم قدير، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: 8 ـ 10].

ب ـ **النفاق العملي**: وهو النفاق الذي لا ينقل صاحبه عن الملة، بل يظل معه مسلماً، ويبقى معه إيمانه، وهذا النفاق العملي هو الاتصاف ببعض أعمال المنافقين التي لا تنقض الإيمان، بل في المعاملات، وذلك مثل الكذب في الحديث، إخلاف الوعد، الغدر عند الخصام، الخيانة عند الائتمان، فإنه قد يجتمع في العبد بعض خصال الخير، وبعض خصال الشر، ويستحق من الثواب على قدر ما عنده من خصال الخير ويستحق من العذاب على قدر ما عنده من خصال الشر والنفاق، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يخافون النفاق ويحذرون الوقوع فيه والاقتراب منه[1]، قال ابن أبي مليكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه[2].

إن اتهام بعض الصحابة أنفسهم بالنفاق والخوف من الوقوع

(1) العقيدة الصافية، ص: 412.

(2) المصدر نفسه، ص: 413.

فيه، يدل على أشياء كثيرة ومعانٍ رفيعة منها:

- مدى حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على إيمانهم وتوحيدهم وحفظ إيمانهم من أن تشوبه شائبة تعكّر صفوه أو تنقص كماله.

- تواضع الصحابة رضوان الله عليهم وعدم اغترارهم بأعمالهم.

- ما يجب أن يكون عليه العبد من الخوف والرجاء، فإنه يخاف ربه وأن يقع فيما يغضبه، وفي نفس الوقت يرجو رحمته[1].

2 - من أبرز صفات المنافقين:

أ - الإفساد في الأرض بتهديم شريعة الله واتهام المؤمنين بالسفه، قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: 11-13].

ب - خداع المؤمنين: قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: 14].

ج - الإعراض عن التحاكم إلى شرع الله: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾

(1) العقيدة الصافية، ص: 413.

[النساء: 60، 61].

د ـ الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف: قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: 67]

هـ ـ اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين: قال الله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: 138-139][1].

هذه أبرز صفات المنافقين، وإلا التي ذكرت في القرآن الكريم كثيرة.

خامساً: الرِّدَّة:

هي رجوع المسلم العاقل البالغ عن الإسلام إلى الكفر، مختاراً غير مكره، ويستوي فيه الذكر والأنثى[2].

1 ـ أنواع الردة:

أ ـ الارتداد بالقول: كسبّ الله تعالى، والنطق بقول يكفر به.

ب ـ الارتداد بالفعل: كالسجود للأصنام والكواكب ونحوها، أو إذا أتى بفعل صريح، كالاستهزاء بالدين، أو امتهان القرآن، أو وضعه في القاذورات.

---

(1) الإيمان، للزنداني ومجموعة من العلماء، ص: 153، 154.

(2) العقيدة الصافية، ص: 418.

ج ـ **الارتداد بالاعتقاد**: كاعتقاد الشريك لله سبحانه وتعالى أو اعتقاد حِلّ شيء من المحرمات المجمع عليها إجماعاً قطعياً.

هـ ـ **الارتداد بالشك**: كما لو شك في شيء من واجبات الدين، كالصلاة أو الصيام، أو الزكاة أو يشك في تحريم الشرك، أو شيء من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة، مثل الزنا والخمر أو شك في رسالة النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء أو في صدقه، أو في دين الإسلام، أو في صلاحيته لهذا الزمان أو غيره من الأزمنة[1].

2 ـ الأحكام التي تترتب على الارتداد:

أ ـ **استتابة المرتد**، فإن تاب ورجع إلى الإسلام في خلال ثلاثة أيام قُبِل منه ذلك.

ب ـ **إذا أبى أن يتوب وجب على القاضي الأمر بقتله**، لقول النبي ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[2].

ج ـ **يُمنع من التصرف في ماله في مدة استتابته**، فإن أسلم فهو له وإلا صار فيئاً لبيت المال من حين قتله أو موته على الردة، وقيل: من حين ارتداده يصرف في مصالح المسلمين.

د ـ **انقطاع التوارث بينه وبين أقاربه**، فلا يرثهم ولا يرثوه.

هـ ـ **إذا مات أو قتل على ردته**، فإنه لا يُغسَّل ولا يُصلَّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين، وإنما يدفن في مقابر الكفار أو يوارى في التراب في أماكن غير مقابر المسلمين، هذا في الدنيا، وأما في

---

(1) العقيدة الصافية، ص: 418.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله (الحديث: 3017).

الآخرة فإنها تستوجب العذاب الشديد والخلود في النار[1]، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: 217].

3 ـ الأشياء التي يصير بها المسلم مرتداً:

ـ الشرك بالله تعالى، وهو أن يجعل لله نداً من مخلوقاته يُدعى كما يُدعى الله، ويخاف كما يخاف الله، ويتوكل عليه كما يتوكل على الله، أو يصرف له شيء من العبادات، فإذا فعل ذلك كفر، وخرج من الإسلام قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزُمَر: 8].

ـ إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: 25 ـ 28].

ـ موالاة المشركين والكافرين، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(1) العقيدة الصافية، ص: 419.

ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: 51].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: 28].

- الجلوس عند المشركين في مجالس شركهم من غير إنكار، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: 140].

- الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسوله، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: 65-66].

- ظهور الكراهية والغضب عند الدعوة إلى الله وتلاوة كتابه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج: 72].

- كراهية ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: 9].

ـ جحد الناس شيئاً من كتاب الله ولو آية، أو بعضها أو شيء عن النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: 150، 151].

ـ عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، قال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾ [غافر: 4].

ـ الإعراض عن تعلم دين الله والغفلة عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: 3].

ـ كراهية إقامة الدين والاجتماع عليه، قال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: 13].

ـ السحر، تعلّمه وتعليمه والعمل بموجبه، قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: 102].

ـ إنكار البعث قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: 5].

ـ التحاكم إلى غير حكم الله ﷻ قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: 50].

سادساً: الفسق:

هو الخروج عن طاعة الله سواء كان خروجاً كلياً أو جزئياً.

وينقسم إلى نوعين:

1 ـ فسق ينقل من الملة وهو الكفر، فهو فسق كلي، خرج صاحبه عن طاعة الله وعبوديته، ولقد سمَّى الله تعالى الكفر المخرج عن الملة الموجب لصاحبه النار، سمَّاه فسقاً، كما قال تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: 50] ، وسمَّى الله تعالى أصحاب النار فُساقاً، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السَّجدَة: 20].

2 ـ **النوع الثاني** وهو الفسق الذي لا ينقل من الملة وهو فسق جزئي، وهو يطلق على بعض المعاصي، وعلى بعض العصاة، وهو لا يخرج من الملة وصاحبه ما زال في حظيرة الإسلام، ولقد سمَّى الله المؤمنين الذين يرمون المحصنات، ثم لم يأتوا بالشهداء بأنهم فاسقون وهم ما زالوا في حظيرة الإسلام يتمتعون بعقيدة المسلمين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝﴾ [النُّور: 4].

سابعاً: المعاصي: الكبائر والصغائر:

1 ـ المعاصي: هي ترك المأمورات وفعل المحظورات، أو ترك ما أوجب وفرض من كتابه أو على لسان رسوله وارتكاب ما نهى الله عنه أو رسوله ﷺ من الأقوال والأعمال الظاهرة أو الباطنة[1].

ولفظ المعصية والفسوق والكفر إذا أطلقت المعصية لله ورسوله

---

(1) الكبائر والصغائر، حامد محمد المصلح، ص: 19.

دخل فيها الكفر والفسوق كقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: 23]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ [هود: 59]. فهذه معصية لجنس الرسل[1].

وقد جاء معنى العصيان بألفاظ كثيرة في القرآن الكريم:

- الذنب، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: 40].

- الخطيئة، قال تعالى عن إخوة يوسف: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: 97].

- السيئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: 114].

- الحُوب، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 2].

- الإثم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ﴾ [الأعراف: 33].

- الفسوق والعصيان، قال تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحُجرات: 7].

- الفساد، قال جلّ وعلا: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: 33].

- العتو، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: 166].

2 ـ أنواع المعاصي: تنقسم المعاصي إلى كبائر وصغائر حسب

---

(1) الكبائر والصغائر، حامد محمد المصلح، ص: 20.

تقسيمها في الكتاب والسنة للأدلة الآتية، أما في الكتاب فمنها قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: 31]، ففي هذه بيان أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر[1].

وقوله جلّ جلاله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: 32]، في استثناء منقطع، لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال فهو استثناء من عامة الكبائر، وقوله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحُجرات: 7]. فجعلها مراتب ثلاثاً وسمّى أولها كفراً، وثانيها فسقاً، وثالثها عصياناً[2].

وقوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: 49]، وهذا نص صريح في أن ما يعمل الإنسان يدون عليه صغيراً كان أو كبيراً[3].

وأما في السنة فقد جاءت أحاديث كثيرة منها:

- عن ابن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: **«أن تجعل لله نداً وهو خلقك»**، قال: قلت له: إن ذلك لعظيم. قال: قلت: ثم أي؟ قال: **«أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»** قلت: ثم أي؟ قال: **«أن تزاني حليلة جارك»**[4].

---

(1) الكبائر والصغائر، حامد محمد المصلح، ص: 23.

(2) المصدر نفسه، ص: 23.

(3) المصدر نفسه، ص: 23.

(4) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب.... (الحديث: 253).

ـ وعن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، أو قول الزور**»، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[1].

ـ وقال رسول الله ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إن اجتنبت الكبائر**»[2] فهذه الأدلة وغيرها كثير تدل دلالة صريحة على أن المعاصي منها ما هو كبائر بل وأكبر الكبائر، كما جاء في الأحاديث السابقة.

3 ـ تعريف الكبيرة: كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب، أو لعنة أو عذاب[3]، وقيل: كل ما أوجب فيه حد أو ورد فيه توعد بالنار أو جاءت فيه لعنة[4]. وقال بعض أهل العلم وغيرهم أنه يمكن أن تعرَّف الكبائر بالعد بدلاً من الحد، ومنهم من قال عن الكبائر: هي على السبعين أقرب منها إلى السبع[5]. وذكر الهيثمي عن العلائي أنه صنف جزءاً جمع فيه ما نص عليه النبي ﷺ أنه كبيرة وهي: الشرك، والقتل، والزنا، وأفحشه بحليلة الجار، والفرار من الزحف، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، والسحر، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والنميمة، والسرقة، وشرب الخمر، واستحلال بيت الله الحرام، ونكث الصفقة، وترك السنة، والتعرب بعد الهجرة، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، ومنع ابن السبيل من فضل

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الشرك أقبح الذنوب (الحديث: 255).
(2) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها (الحديث: 255).
(3) الزواجر، لابن حجر (1/ 9).
(4) الكبائر والصغائر، ص: 27.
(5) تفسير الطبري (1/ 41).

الماء، وعدم التنزه من البول، وعقوق الوالدين والتسبب إلى شتمهما، والإضرار في الوصية، فهذه الخمس والعشرون هي مجموع ما جاء في الأحاديث منصوصاً عليه أنه كبيرة[1].

إن ما ذكره صحيح من حيث كونها كبيرة منصوصاً عليها والأدلة عليها في مظانها، ولكن ليس هذا مجموع ما جاء في الأحاديث الصحيحة المنصوص عليها بل قد ورد غيرها ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الآتي:

كالكذب، وقاتل نفسه، والمكثر من اللعان بغير حق، تشبه الرجال بالنساء أو العكس، سوء الجوار، الخيانة، الرشوة، تغيير منار الأرض...إلخ.

الخلاصة: إن الكبائر غير منحصرة بعدٍّ ولا حد منضبط، بل إنها كل معصية دل الدليل على توكيد التحريم وتغليظه سواء توعد عليها بلعن أو غضب أو نار أو عذاب أو حد أو غير ذلك، مما عظم ضررها في الوجود أو اقترن بارتكابها ما تعظم به[2].

4 ـ **تعريف الصغائر**: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة[3].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: 32]، واللمم: ما كان بين الحدين لم يبلغ حد الدنيا ولا حد الآخرة: موجبة قد أوجبالله لأهلها النار، أو فاحشة يقام عليها الحد في الدنيا[4]، والصغيرة مع الإصرار تشكل خطر على صاحبها وربما

(1) الكبائر والصغائر، ص: 28.
(2) المصدر نفسه، ص: 29 إلى 33.
(3) أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (3/ 1307).
(4) المصدر نفسه (3/ 1307).

تهلكه، قال رسول الله ﷺ: **«إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب، كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزاً، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»**[1].

ولأن السيئة وإن صغرت تجر أختها حتى توقع فاعلها في ما هو أكبر من الكبائر ولهذا دفع السيئة بالحسنة لا بالسيئة، قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ [المؤمنون: 96] ، وقال ﷺ: **«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها»**[2].

فإن العبد إذا وقع في سيئة عليه أن يعمل حسنة تمحو تلك السيئة التي عملها فيبدل مكان السوء إحساناً ومكان السيئة الطاعة، فإنه إذا وُفّق لفعل الحسنات ألفها وأحبها واطمئن قلبه لها فلا يفارقها أبداً حتى لو أجبر على سيئة لم يأنس بها، قلبه يؤنبه وإيمانه ينهاه عنها، فهو يزداد كل يوم خيراً وعن الشر بعداً[3].

5 ـ **حكم مرتكب الكبيرة**: سلك الصحابة والتابعون لهم بإحسان منهجاً وسطاً في شأن مرتكب الكبيرة، فلم يكفروه ولم يقولوا بأنه كامل الإيمان، بل إنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن عاص، وهذا الحكم عليه إنما هو في

---

(1) السلسلة الصحيحة، **للألباني**، رقم: 389.
(2) صحيح الجامع، **للألباني**، رقم: 96.
(3) الكبائر والصغائر، ص: 35.

الدنيا، أما في الآخرة فهو تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وبهذا الحكم عليه جمعوا بين النصوص الشرعية التي تصف أهل الإيمان والنصوص التي لم تخرج الفاسق من دائرة الإسلام[1].

إن فساق الملة ليسوا مخلدين في النار وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة بل لهم حسنات وسيئات، يستحقون بهذا العقاب، وبهذا الثواب[2].

وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان، واتفقوا أيضاً على أن نبينا ﷺ يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته[3].

وقد استدل علماء الأمة الإسلامية على قولهم في مرتكب الكبيرة بالعديد من الأدلة من الكتاب والسنة منها:

أ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48]، وقد أبانت هذه أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه، ما لم تكن كبيرته شركاً بالله[4].

ب ـ قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟

(1) أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان، عبد العزيز عبد الله (3/ 1315).
(2) المصدر نفسه (3/ 1315)، الفتاوى (7/ 679).
(3) ذكره ابن تيمية في الإيمان، ص: 209.
(4) تفسير الطبري (4/ 129).

بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: 9 ـ 10].

رغم أن القتال بين المسلمين من الكبائر لم ينتف عن المتقاتلين اسم الإيمان ولم يخرجوا به عن أهله[1]، وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على أن المعصية وإن عظمت لا تخرج من الإيمان[2].

ج ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾ [البقرة: 178]، مع أن الله ﷻ أوعد القاتل بالخلود في النار عقوبة له على جريمته قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: 93]. ومع ذلك لم ينف عن هذا القاتل العاصي صفة الإيمان فهو أخ لأولياء المقتول وهم مؤمنون: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾ [البقرة: 178] والمراد بالأخوة: إخوة الدين[3]، والقاتل جزاؤه جهنم، فإن شاء الله غفر له[4].

د ـ ولم ينف القرآن الكريم صفة الإيمان عمن أكل أموال الناس

(1) دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين، د. **أحمد** جلي، ص: 127.

(2) علي بن أبي طالب، **للصّلاّبي**، ص: 383.

(3) دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين، ص: 127.

(4) أخرجه **البيهقي في** «السنن الكبرى» (8/ 16).

بالباطل، أو أكل الربا مادام غير مستحل لذلك فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النساء: 29]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: 278].

هـ - وورد أيضاً من الأحاديث الصحيحة التي تنص على أن المعاصي لا تخرج عن الملة ومن ذلك: عن أبي ذر ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض، وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال: **«ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك دخل الجنة»**. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: **«وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر»**[1]. ففي قوله: **«وإن زنى وإن سرق»**، دليل على أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها، وختم لهم بالخلود في الجنة[2].

- وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: **«تبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»**[3].

---

(1) أخرجه **البخاري** في كتاب: اللباس، باب: الثياب البيض (الحديث: 5827)، وأخرجه **مسلم** في كتاب: الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً (الحديث: 269).

(2) شرح صحيح مسلم (2/ 97).

(3) أخرجه **البخاري** في كتاب: بدء الإيمان، باب: 11 (الحديث: 18)، وأخرجه **مسلم** في كتاب: الحدود، باب: الحدود كفارات لأهلها (الحديث: 4436).

و ـ ومما يستدل به: إجماع الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان على أن صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته وهو تحت مشيئة الله تعالى في الآخرة[1].

obeikandi.com

(1) أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (3/ 1318).

الخاتمة

وبعد: فهذا ما يسره الله لي من الحديث عن الإيمان بالله ﷻ في هذا الكتاب، وقد سميته: «الإيمان بالله جلّ جلاله»، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليَّ، فله الحمد، والمنة، وما كان فيه من خطأ، فأستغفر الله تعالى، وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أني كنت حريصاً ألا أقع في الخطأ وعسى ألا أُحرم من الأجر.

وأدعو الله أن ينفع بهذا الكتاب بني الإنسان أينما وجد، ويكون سبباً في زيادة إيمانه، وهدايته أو تعليمه أو تذكيره، وأن يذكرني من يقرؤه من إخواني المسلمين في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

ويقول الشاعر:

إلهي لا تعذبني فإني ... مقر بالذي قد كان مني

وما لي حيلة إلا رجائي ... وعفوك إن عفوت وحسن ظني

فكم من زلة لي في البرايا ... وأنت عليَّ ذو فضل ومنّ

إذا فكّرت في ندمي عليها ... عضضت أناملي وقرعت سني

يظن الناس بي خيراً وإني لشرُّ الناس إن لم تعف عني

سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

obeikandi.com